مجلــة البــاحث للـدراسات الأكـاديـمــية
ISSN: 2352-975X
ELBAHITH for Academic Studies
EISSN: 2588-2368

المجلد: 06 / العدد: 02 / السنة: 2019 / ص ص: 193 – 208

الاساءة لصورة الاسـلام والمسلمين فـي الاعـلام الغربي: المنطلقات والمضامين

Misrepresentation Of The Image Of Islam And Muslims In Western Media

تاريخ الإرسال: 2018/12/21 تاريخ القبول: 2019/05/17

شفيعة حداد
جامعة باتنة1- الجزائر
chafiaahaddad@gmail.com

نبيل عاشوري (*)
جامعة باتنة1- الجزائر
achourinabil@gmail.com

ملخص:

يرمي هذا الجهد البحثي المتواضع، إلى استجلاء أهم البواعث الكامنة وراء حملات الاعلام الغربي لتشويه صورة الاسلام والمسلمين، وتفحص المنطلقات الثقافية والسياسية والاستراتيجية التي تقف وراء المخطط الاعلامي الغربي الذي يستهدف ترسيخ صورة نمطية بشعة للاسلام في ذهن المتلقي الغربي والعالمي.

وتم الخلوص، إلى أن الصورة المشوهة التي باتت لصيقة بكل مايمت للاسلام بصلة، ماهي إلى جزء من مخطط وحرب إعلامية نفسية شاملة تستهدف العالم الاسلامي وترمي إلى السيطرة عليه. كما تستهدف الاسلام كدين واسلوب حياة، يرى قطاع كبير من صناع الرأي والفكر في الغرب انه بات تهديدا خطيرا لقيمهم وأسلوب حياته.

الكلمات المفتاحية: الاساءة؛ الاسلام؛ صورة؛ الاعلام الغربي.

Abstract:

The goal of this research effort,is to elucidate the most important motives behind the Western media campaigns to tarnish the image of Islam and Muslims, and examine the cultural, political and strategic perspectives behind that Western media plan, which aims to establish hatered of Islam in the minds of western and world public opinion.

we conclude that the distorted image of Islam, psychological warfare, media comprehensive targeting the Islamic world and designed to control it. As targeting Islam as a religion and a way of life, a large segment of Thought and opinion makers

see that islam has become a serious threat to the values of the West and his life style.

Keywords: Misrepresentation; Image Islam; Western Media.

(*)- المُؤلِفْ المُرَاسِل.

مقدمــة:

يحتـل الإعـلام دوراً رئيسـياً في تكـوين الـرأي العـام تجـاه القضـايا والمشـكلات المطروحـة، وبتطـور الوسـائل التقنيـة وسـرعتها أصبح الإعـلام هـو الـذي يقـوم بصـياغة الأفكـار والأراء حـول أحـداث أو موضـوعات معينـة، وهـو الـذى يقـوم باثـارة مشـاعر الغضب أو التعـاطف مـع عناصـر الحـدث مـن خـلال الكلمـة والصـورة والصـوت واللقـاء والمتابعـة ؛ لأن الإعـلام يملـك تـأثيرا قويـاً وواسـعاً علـى الجمـاهير فلـم يـترك للارتجـال والعفوية.

لقد شهدت نهاية الحرب الباردة والسنوات التي تلتها ايذانا ببداية عهد جديد، سمته اسـتهداف ممـنهج للعـالم الاسـلامي. ولعـل ابـرز تجلياتـه الحـرب الاعلاميـة الواسـعة والمنظمة، والتي عرفت تزايدا واضحا بعد أحداث 11 سبتمبر، التي شنها العالم الغربي وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية، على العالم الاسلامي أنظمة وشعوبا وثقافة، وعلى الدين الاسلامي عقيدة وتراثا.

ومـن المؤسـف أن الإعـلام الغربـى روج صـورة الإسـلام فـى أسـوأ صـورة، حيـث اختـار سلبيات المجتمع الإسلامي، وبدأ يخلطها بالتخلف والجمود والرجعية، مسـتخدماً صـور إعلامية، وانتشرت الصحف والمجلات والفضائيات الغربية،

والمؤلفات التي تقـدم أبشـع الصـور عـن الإسـلام، كمـا ظهـرت المصـطلحات المغلوطة على المسـلمين بـأنهم إرهـابيون أو أصـوليون أو متطرفـون أو غـير ذلـك، بـل كـذلك علـى الإسلام مثل الخطر الأخضر، وبروز بعض المصطلحات الثقافية كصراع الحضارات أو الصدام بين الشرق والغرب، وبـزوغ بعـض المصـطلحات الدينيـة مثـل الصـراع العقائـدى، الحرب الصليبية فى الألفية الثالثة، بودار معركـة "هرمجدون" .

كمـا كانـت أحـداث 11 سـبتمبر 2001 ومـا صـاحبها مـن إعـلان رسمـى أمريكـى حول مسئولية تنظيم القاعدة عـن الأحـداث، فرصـة للإعـلام الغربـى لاسـتخدام الصـورة النمطيــة الجــاهزة لعلاقــة الإســلام بالإرهــاب. واســتثمرت الــدوائر السياســية الغربيــة الفرصة، في توظيف الحدث لصالحها وإلصاق تهمة الإرهاب بالعرب والمسلمين حتى من يدافعون عن تحرير أرضهم شرعاً، ومن ثم تحولت كلمة الجهاد إلى كلمة ارهاب.

وعلى هذا الأساس، يرمي هذا الجهد البحثي المتواضع لاستجلاء المنطلقات الكامنة وراء الحملات الاعلامية المنظمة والمستمرة للاساءة للاسلام والمسلمين في الاعلام الغربي. والبواعث الثقافية والسياسية والاستراتيجية التي تستهدف تشويه كل ماهو اسلامي، خدمة لمصالح ومخططات العالم الغربي. وسيتم تحليل هده المنطلقات من خلال محورين:

المحور الاول: الاسلام بين نظرية العدو المفترض وصدام الحضارات

المحور الثاني: الحرب الاعلامية النفسية واستراتيجية الهيمنة على العالم الاسلامي

المحور الأول: الاسلام بين نظرية العدو المفترض وصدام الحضارات

أولا- نظرية "الآخر" العدو المفترض:

يقول المفكر محمد عابد الجابري: إن العقل الاوربي والغربي لا يعرف الاثبات إلا من خلال النفي، ولا يتعرف على الأنا إلا من خلال الاخر[1]. كما تقول المستشرقة الايطالية "ايزابيلا دافيليتو": أن الغرب كان ومايزال بحاجة إلى اختراع عدو حتى يضمن لنفسه خط دفاع، ويظل متعاليا ومترفعا على ما تبقى من العالم لسنين طويلة[2].

وعندما غزا صدام الكويت سنة 1990، زود- بغير قصد- مخططي وزارة الدفاع الأمريكية بذريعة جعل الاسلام العدو البديل للشيوعية، وكان اول من رفع هدا الشعار على المستوى السياسي الغربي، في منتدى الشؤون الأمنية الدولية في ميونخ سنة[3]1991، هو وزير الدفاع الامريكي آنذاك "ديك تشيني" الذي صار أحد اعمدة ادارة بوش الابن والمحافظين الجدد، الذين خاضوا الحروب على العالم الاسلامي تحت شعار محاربة الارهاب.

فمنذ القدم والثقافة الغربية محملة بأوهام كثيرة تجعل من الإسلام عدواً تاريخياً وتقليدياً للغرب، وليس مصدر هذه الأوهام دينياً وحسب، بل أضيفت إليه، وعلى مر الأيام والتاريخ، عوامل سياسية واقتصادية زادت في أثر هذا العامل الديني، وجعلته يتخذ شكل خرافة ضخمة تستقر في اعماق الوعي الجمعي الغربي. وقد وجدت هذه الخرافة فرصتها الذهبية بعد سقوط الاتحاد السوفييتي، من خلال البحث عن شيطان جديد يحل محل الشيطان القديم الذي ترك وراءه فراغاً عدوانياً لا مناص من ردمه. وقد كان واضحاً منذ الأيام الأولى لسقوط جدار الارتطام القديم، بحث الغرب عن

EISSN: 2588-2368 ______ ISSN: 2352-975X

آخر يواجهه ويقاومه ويشعر بذاته من خلال الصدام معه. ولم يكن هناك أفضل من الإسلام ليجسد هذا الآخر، ذلك أنه ومنذ القديم شكل الإسلام هذا الآخر.

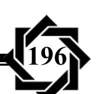
وهكذا وجد العالم الغربي من جديد في العالم الإسلامي البديل العدواني للاتحاد السوفييتي، وبدأت الخرافة القديمة بالانبثاق والظهور، وبدأت عمليات النسج الخرافي تلف الإسلام لتظهره على أنه "الآخر"، وكذلك "الوجه المناقض للتقدم والإرث المعادي لمسيرة الحضارة".

وقد بلغ التحامل على الاسلام في وسائل الاعلام الغربية اشده، إلى درجة ان مجلة الاكونومست البريطانية المعروفة برصانتها وموضوعيتها، قد نشرت على غلافها موضوعا بعنوان " الاسلام الايديولوجيا البربرية المعادية للغرب"(4).وفي دراسة نشرتها مجلة المانية متخصصة في الدراسات الاستراتيجية، توصلت إلى نتيجة لخصتها في العبارة التالية، "الواقع أن الأحاسيس المعادية للعرب والمسلمين، تجعل من هذه الصورة الجديدة للعدو المخطط لها، أسرع نجاحا وأكثر قدرة في الحصول على الاجماع" (5).

ثانيا- أطروحة صدام الحضارات:

حقيقة أن الترويج لخطابات الهيمنة الامريكية والصراع من اجل النفود هي من سمات الادارت الامريكية المتعاقبة، مستخدمة فيها مراكز صنع الفكر think tanks ومنظريها. فعقب نهاية الحرب العالمية الثانية وضع جورج كينان (الدبلوماسي والأستاذ الجامعي) نظرية احتواء الشيوعية، وأكد أن القضاء على النازية - وقتها - ليس نهاية المشكلة العالمية، وأن الشيوعية ستصبح الخطر الجديد، وأنها ستهدد الغرب، ولابد من احتوائها بتأسيس أحلاف عسكرية تحيط بالإتحاد السوفييتي لمنع انتشار الشيوعية في الدول الغربية والعالم الثالث . وقد مثل هذا المقال لب الاستراتيجيّة السياسيّة الأمريكية في النصف الثاني من القرن العشرين، أي منذ انتهاء الحرب حتى سقوط جدار برلين .

ويجيء د. صمويل هنتجتون(أستاذ العلوم السياسية بجامعة هارفارد، ومدير معهد الدراسات الاستراتيجية فيها، وكان قبل مدة من الزمن - في عهد إدارة القس الأمريكي جيمي كارتر - مسؤولا عن التخطيط في مجلس الأمن القومي)، يأتي ليضع نظرية صدام الحضارات ويقول أن القضاء على الشيوعية ليس نهاية المشاكل



EISSN: 2588-2368 ______ ISSN: 2352-975X

العالمية، وإن الإسلام هو العدو رقم واحد الذي يمثل الخطر الحقيقي على الحضارة الغربية. وهذا المقال الذي نشره عام 1993, في مجلة (Foreign Affairs) تحت العنوان نفسه(صدام الحضارات)، ويمكن تلخيص الفكرة المحوريّة في هذا المقال فيما يلي: إنّ الإستراتيجية العالميّة ستحدد مستقبلا بناء على الحدود الثقافيّة، إذ إن الصراع سوف لا يندلع لأسباب اقتصاديّة, أو سياسيّة وإنما سينفجر ذودا عن قيم ثقافية مختلفة عن قيم الآخر"[6]. ووصنف الحضارة العربيّة الإسلاميّة في طليعة الحضارات التي تمثل قيمها قيم الآخر الخطر الذي تجب مواجهته ليس بالحوار, وإنما بالصدام .

ولم يتفطن كثير ممن تناولوا هذه المسألة إلى الأهداف الخفيّة لمقولة هنتنجتون, تلك الأهداف التي أماط اللثام عن لبّها الفيلسوف الألماني الشهير يورجن هابرماس (Jurgen Habermas) قائلا: "إن مقولة صدام الحضارات تخفي بكل جلاء مصالح الغرب الماديّة، وبالخصوص السيطرة على الموارد النفطية، بل ذهب إلى أبعد من ذلك فأقول: إنها تمثل ركنا خطير الشأن من أركان الإمبريالية الجديدة. وقد نظّر لها منذ فترة طويلة المحافظون الجدد، ولهذا التيارن كما هو معروف، استراتيجيون ومفكرون أيديولوجيون منهم هنتنجتون."[7]

وبعد هجمات 11 ستمبر سيطر دعاة ومعتنقو عقيدة صراع الحضارات على الساحة السياسية والاعلامية في أمريكا. فقبل الكشف عن هوية منفذي الهجمات، كانت الحملة المنظمة ضد العرب والمسلمين قد بدأت تبث سمومها عبر مختلف وساءل الاعلام الامريكية والغربية.كما بدأت الاحكام المسبقة على الاسلام والمسلمين تطلق على ألسنة كبار المحللين والاعلاميين، وبأقلام كبار كتاب الاعمدة في كبريات الصحف الأمريكية، مثل "نييورك تايمز" و"الواشنطن بوست". والذين اجمعوا رأيهم على أن المشكلة التي يعاني منها العالم هي "الاسلام المتطرف"، واستمروا في بث هده الرسائل بشكل مكثف حتى ترسخ في فكر وذهن المواطن الأمريكي العادي بأن الاسلام مرادف للارهاب. إلى أن تكونت لدية قناعة بضرورة مجابهة هدا الخطر الداهم، وان على حكومته التصدي له، وبذلك اقرت وسائل الاعلام بداية الحرب على الاسلام والمسلمين قبل ان يقرها الكونغرس الامريكي.

وساهم الاعلام الغربي بدوره الاساسي والفاعل في معاضدة القادة والسياسيين في تشويه صورة الاسلام، بتقديمه بابشع الصور الراديكالية والوحشية والتخلف والعنف.وتلاعب بالراي العام الغربي بغية حشده خلف هده السياسات العدائية ضد كل ماهو اسلامي.

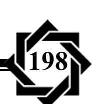
وفي هدا الصدد يقول المستشرق الهولندي رودلف بيترز[8]: "إن اللغة الاعلامية اليومية للغرب تكرس الصورة المشوهة للاسلام، ويساهم في التشويه بعض الفئات المتعلمة والصحافيون...، إن نقد صحافتنا أمر واجب لانها تمضي بعيدا في تسويق مفهوم خاطئ، وهي تعيد ماقامت به أثناء الحرب الباردة من حماسة زائدة ضد العدو المفترض. وتسم الاخر الدي يختلف عنا ب العنف والارهاب، يمكن ان تكون نيات بعضنا طيبة لكن لا ننكر وجود هؤلاء المقربين من الدوائر السياسية والحزبية التي من مصلحتها التلاعب بالرأي العام وتوجيهه، وحتى الصحفي الموضوعي يواجه عوائق مهنية في تغطية الموضوع الاسلامي..".

المحور الثاني: الحرب الاعلامية النفسية واستراتيجية الهيمنة على العالم الاسلامي

أولا- دور الاعلام في الحرب النفسية:

يعد الإعلام أحد أهم الأدوات الميسورة للحرب النفسية، حيث الاستخدام المنظم لوسائله ومواده للتأثير على قناعات الطرف المستهدف، دون تجاوز استخدامات القوة العسكرية والإمكانيات الاقتصادية والتحركات السياسية وغيرها، لكن الإعلام من ناحية أخرى يتميز عن كل تلك الأدوات كونه القاسم المشترك لها جميعا والناقل الأساس لأهدافها وتوجهاتها في التأثير على الطرف المستهدف.

وإذا ما أضفنا إلى ذلك مهامه وطريقته في نقل الأفكار والأخبار والمعلومات، وحاجة الجمهور إليه في المتابعة والترويج وإشباع الحاجات، وكذلك قدرته وشموليته في التأثير، يكون الإعلام في هذه الحالة الأداة الأكثر فاعلية من بين أدوات ووسائل الحرب النفسية المتاحة في وقتنا الراهن، خاصة مع تطور تقنيات التوصيل وسبل التأثير في نظام كوني شامل (النظام العالمي الجديد).



وبالعودة إلى موضوع الإعلام كأحد أدوات الحرب النفسية في النظام العالمي الجديد، تبينت لنا بعض الحقائق ذات الصلة به أن وجوده أو بالمعنى الأدق غالبية وجوده الفاعل بات بيد واحدة (القطب الواحد)، إذ أن:

1- غالبية الشركات العملاقة (متعددة الجنسيات) للصحافة والبث التلفزي والأقمار الصناعية الناقلة للبث الفضائي موجودة في اليد الأمريكية التي أنشأت النظام العالمي الجديد.

2- أساس عمل شبكة المعلومات (الانترنيت) أمريكي ورأس مالها أمريكي ومراكزها عبر العالم أمريكية، والقدرة على مراقبتها والتحكم بها في يد أمريكية تسعى لتعميم قيم النظام العالمي الجديد.

3- 80 ٪ من الأنباء العالمية التي تتداولها وكالات الأنباء في الدول النامية مصدرها الوكالات الأمريكية الغربية، القادرة على الفبركة والصياغة حسب توجهات النظام العالمي الجديد(9) .

4- خمس عشرة شركة إعلامية أمريكية غربية، تتحكم في المواد والوسائل والمؤسسات والتقنيات الإعلامية، والإعلانية في العالم. وأن 75 ٪ من إجمالي الإنتاج العالمي من البرامج التلفزيونية أمريكي. و90 ٪ من إجمالي الأخبار المصورة و82 ٪ من إنتاج المعدات الإعلانية والإليكترونية. و90 ٪ من المعلومات المخزنة في الحواسب الإلكترونية جهد أمريكي(10).

5- رأس المال البالغ نحو (489) مليار دولار الذي يتحكم في سوق التقنية الإعلامية غالبيته أمريكي، يسعى أصحابه إلى استثماره للامتداد إلى السوق العالمي بدفع من النظام العالمي الجديد.(11)

إن معطيات الصراع وطبيعته التي كونت شكل النظم السياسية في عالم اليوم، تؤكد أن محاولات الهيمنة وتأمين المصالح، واحتمالات المواجهة حالة موجودة بين الحلفاء والأصدقاء، مثلما هي واقعة بين الخصوم والأعداء، لذا نجد في عالمنا اليوم اندفاعاً لمعظم النظم، باتجاه تقوية جيوشها وتمتين اقتصادها، ودعم دبلوماسيتها وتطوير وسائلها النفسية، وإعداد شعوبها للدفاع الكفء مادياً ومعنوياً من جانب،

EISSN: 2588-2368 ______ ISSN: 2352-975X

وتهيئة فرص أفضل للهجوم وظروف أحسن لفعل التأثير في عقول المستهدفين، عندما تقتضي المصالح وضرورات استمرار الوجود من جانب آخر.

وعلى نفس الأسس الواردة، لن يتبقى مجال للدول العربية والإسلامية على وجه الخصوص إلا السعي لتطوير قدراتها في تحليل وإدارة الصراع، وزيادة هامش مرونتها في التعامل مع الدول ذات التأثير الأقوى في عقول المتلقين من مواطنيها.

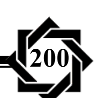
ثانيا- أهداف الحرب الاعلامية النفسية الغربية داخل العالم الاسلامي:

من خلال استعراضنا لطبيعة الصراع الناجم عن النظام الدولي الجديد، وإلقاء الضوء على توجهات المعنيين به، ودور المجتمعات العربية والإسلامية في بعض جوانبه وكما ورد، فإن الأهداف (المحتملة) والتي يمكن أن تؤمن الغاية المتوخاة للمعنيين بهذا النظام ستكون على الأغلب:

1- الوجود النفسي لقادة الأمة: تمثل شخصية القائد في مجتمعاتنا التي يحكم فيها الفرد حكما مطلقا، في كثير من الأحيان أهمية كبيرة للتأثير من خلاله على الجمهور في مجتمعه، وبذا ستضع القوى الفاعلة في النظام العالمي الجديد مسألة التعامل مع وجوده النفسي، كرمز للقيادة والتقليد هدفاً رئيسياً من خلال التوجه إلى أفكاره وآرائه وأساليبه القيادية بالنقد والتحريف، وتشويه الحقائق لمن لا يكون مرغوبا من قبلهم، في محاولة للفصل بينه وبين جماهيره. وبالدعم والتعزيز لمن يمثل فلسفتهم في محاولة لزيادة أواصر العلاقة معه .

2- طبيعة الفكر الإسلامي: بعد انتهاء الشيوعية كفلسفة لإدارة المجتمعات البشرية، أُعلن في الغرب وبأكثر من مناسبة أن الخطر الماثل للعيان لما بعد الشيوعية سيكون الإسلام الذي يحاول كثير من دعاته إثبات ملاءمته لكل شعوب العالم، وبذا سيكون الاتجاه المعاكس لهذه المحاولة خطوات لتشويه بعض تطبيقات الإسلام في مجريات الحياة من خلال التشجيع غير المباشر للتطرف والمغالاة، وتعميق الطائفية، ودعم التيارات القومية التي تعطي في مجملها صورة مشوهة للإسلام والمسلمين في آن معا.

3- عزل المجتمع العربي عن الإسلامي: المجتمعات العربية عمق استراتيجي للإسلام، والعكس صحيح أيضا إذ تشكل غالبية بلاد المسلمين عمقا للعرب، حيث تتقارب



EISSN: 2588-2368 ______ ISSN: 2352-975X

بينهم المشاعر والتطلعات والأهداف للعيش حياة أفضل قيميا، والتقائهم المفترض سيشكل قوة غير مرغوب فيها وفق النظام العالمي الجديد، وبذا ستتركز الجهود لتكوين أهداف مختلفة وتطلعات مختلفة لهم، ونقاط خلاف متعددة بينهم حتى تصل القناعات إلى مستوى التفرد بالرأي من أجل سلامة البقاء الذاتي.

4- **إرباك أداء الإنسان العربي والإسلامي**: الإنسان أينما وجد فهو عماد النظام وأساس نجاح تجربته، وأداؤه المخلص الكفء معيار لتطور النظام وتقدمه، وإذا ما كان الأمر كذلك سيكون موضوع كفاءة العمل والرغبة بالإنجاز وجدية التعامل مع المهام والواجبات الوطنية للإنسان العربي المسلم، اتجاهاً محسوباً للسلاح النفسي المعادي الذي سيتوجه إلى التشجيع غير المباشر للشعور بالنقص والاعتقاد بعدم الكفاءة وقلة الثقة بالنفس بين المواطنين، لخلق فرص إحباط وخواء نفسي تبعدهم عن المساهمة في بناء الوطن الجديد وممارسة دورهم في الحكم، وتكوين المجتمع الصحيح.

5- **تجهيل المجتمع العربي والإسلامي**: المتعلمون على وجه العموم أكثر قدرة لفهم مسئوليتهم الوطنية، وأكثر كفاءة لإدارة شؤون أنفسهم والآخرين، وأوسع مجالاً لإدراك غاية الآخرين وأهدافهم المبيتة بين السطور، وأحسن أداء في الدفاع عن وطنهم ومكتسباتهم وهذه معطيات أدخلتها الأطراف المقابلة في حساباتها منذ أول تعامل لهم مع العرب والمسلمين، ومازالوا على هذا النهج سائرين، وبذلك سيستمرون بالتركيز على أمور تبعدهم- المتعلمين- جهد الإمكان عن اهتماماتهم الوطنية وفق برامج تزيد من احتمالات الجهل بالقضايا الأساسية المهمة، ومحاولة إلهائهم جهد الإمكان بأخرى بعيدة نسبيا، كذلك ستحاول على وفق برامج أخرى زرع بعض الأفكار والاهتمامات الغربية كبديل للأخرى الإسلامية، بالإضافة إلى التشجيع على هجرة العقول من المنطقة.

6- **إثارة التوتر وعدم الاستقرار في المنطقة**: الضغط مفهوم يعبر عن الأحداث البيئية والنفسية التي يفسرها الفرد على أنها تهديداً أو تحديا لكيانه الشخصي، تؤدي الزيادة في مستوياتها مع الفشل في التعامل معها إلى إضعاف وظائف الإنسان وإرهاقه وكذا شعوره بالقلق والخوف وفقدان الثقة بالنفس، وهي حالة تستثير في محصلتها

النهائية سلوكاً غير اعتيادي وأداءً بمستوى متدن في عموم المواقف الحياتية، وهذا ما سيلجأ إليه الطرف المقابل في محاولاته للضغط على مجتمع المنطقة سياسياً واقتصادياً عن طريق الإعلام والفضائيات وبرامجها الموجهة ذات الطابع التشويهي وبوسائل متعددة، وحجج مختلفة.

7- **<u>استهداف العقل الفاعل للشباب</u>**: الشباب غاية الأمة ووسيلتها وقوتها الضاربة في الدفاع عن إنجازاتها، فصحتهم البدنية والنفسية وسلامة تفكيرهم تعزيز لتلك القوة وهي الجوانب التي سيحاول الطرف الآخر تأمين الخرق المناسب في بعض أركانها لتحوير تكوينها بوسائل عدة بينها على سبيل المثال نشر تعاطي المخدرات التي تهيئ متعاطيها لتقبل الغزو الفكري السلبي بعيداً عن الإحساس بالمواطنة ومسئولياتها الجسام، ونشر الفساد بطرق منها بث البرامج ذات الطابع الاجتماعي الموجه بأسلوب يسئ إلى القيم الاجتماعية والدينية السائدة.

8- **<u>دعم فاعلية التطرف الديني السياسي</u>**: واجهت بعض مناطق العالم بشكل عام والوطن العربي والإسلامي على وجه الخصوص، أحداث وتحديات ليست قليلة بدأت مع نهاية الستينات، واستمرت حتى وقتنا الراهن. فكونت إحساساً بفشل بعض الأيديولوجيات السائدة والنظم السياسية القائمة في حل مشاكل الإنسان وتلبية طموحاته، وهو فراغ نفسي دفع كثير من المتألمين إلى محاولة ملئه بالتوجه إلى الدين بشكل مغالى فيه طلباً للخلاص والحلول البديلة، وكاستجابة لذلك قوي الاسلام السياسي عملاً وتنظيماً، بمستويات حاول الغرب استغلالها بدعم بعض أطرافه غير الرصينة دعما مباشرا بغية توجيه تطرفه على وفق حسابات تؤمن مصالحهم (الغرب)، وقد حققوا نجاحاً ملموساً في أماكن عدة من المنطقة، وهذا أمر يشجع على الدفع باتجاه تركيز الدعاية والبرامج الثقافية والمعلوماتية والدينية الخاصة بقصد التشويه المنظم للحقائق، وبما يخدم الجانب المعاكس لمعطيات الدين الإسلامي.

9- **<u>تدمير النظام القيمي</u>**: تعيش العديد من المجتمعات وبينها العربية والإسلامية نوعاً معقولا من التجانس والاستقرار النسبي، في ضوء نظمها القيمية وضوابطها الاجتماعية، فهناك على سبيل المثال الصدق والأمانة والإيثار والتكافل والشعور بالمواطنة وصيانة المال العام والإخلاص في العمل ... الخ من القيم والمعايير، التي يؤدي



EISSN: 2588-2368 _____ ISSN: 2352-975X

خرقها إلى اضطراب المجتمع وضعف قدرته على الصمود والتحدي، وهذا هدف لا يغيب عن بال الأطراف الأخرى ومخططي الحرب النفسية من خلال البرامج الموجهة في هذا المجال .

10- <u>تعميم مشاعر الإحباط في المجتمع</u>: فشل الإنسان في إشباع حاجاته الضرورية - بيولوجية كانت أم نفسية- وتكرار ذلك الفشل يؤدي إلى الشعور بالإحباط، وهي حالة نفسية تستثير العدوان الذي عادة ما يوجد داخل الإنسان، حيث الرغبة في إيذاء الذات والعزلة والاكتئاب، أو نحو الخارج أي إلى الآخرين أشخاصاً كانوا أو مؤسسات ودوائر حكومية. حيث الميل إلى التخريب المادي المباشر، مثل التجاوز على الممتلكات العامة وغيرها من أعمال متنوعة. والتخريب النفسي غير المباشر مثل عدم الإخلاص في العمل، وتجنب تحمل المسئولية ووضع العراقيل أمام تقدم الآخرين. وغيرها من فعاليات تغري البعض لوضعها أهدافاً لحربهم النفسية الموجهة للمنطقة.

<u>ثالثا- التضليل والدعاية ضد الاسلام والمسلمين:</u>

يعتبر التضليل أحد وسائل الدعاية، والحرب النفسية وجزء من الحرب الإعلامية، ولتقاس تسمية الحرب بمقاييس الحرب العسكرية، أي الشروع باستخدام أدوات الصراع المسلح، بل هي تسبقه في ميدان الصراع السياسي والإعلامي، وأحيانا تكسب الحرب قبل بدئها، وتمتاز بنشر وبث المعلومات والأفكار المغلوطة عن عمد، وعن سابق تصور وتصميم لخلق واقع مزيف ومغلوط.

والتضليل هو أقوى أسلحة الحرب النفسية والإعلامية، ويعتبر أيضا احد المرتكزات الأساسية للاستراتيجية السياسية الشاملة لأي دولة عدوانية ذات طابع توسعي، هناك عدة تعريفات للتضليل الإعلامي نذكر منه(12):

1- خلق واقع مزيف ومغلوط ومقنع بما فيه الكفاية وذلك بهدف إيقاع الخصم في الخطأ بينما هو يفكر بشكل صحيح.

2- شكل من أشكال العدوان ونشاط تخريبي سيكولوجي وحرب الكلام والأفكار والمفاهيم وسلاح العصر السري.

وتقسم الدعاية من حيث النوع إلى:- دعاية (بيضاء - صريحة- رمادية- سوداء). فإن مخطط الحملات النفسية، إلى جانب استخدام الدعاية "الصريحة"، خلال المراحل



المختلفة للصراع (قبل ـ أثناء ـ بعد انتهاء الصراع). عادة ما يركز على استخدام الدعاية "الرمادية والسوداء"، لما تمتاز به من إمكانيات وتأثير خطير في حال التخطيط والاستخدام الجيد لها فهي تحقق الآتي[13]:

- نشرها ووصولها إلى أعماق ومساحات كبيرة من مسارح الصراع.
- أنها تحوز قبولاً وسرعة انتشار والتأثير بين الأفراد والمجتمعات.

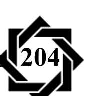
استخدام موضوعات وأساليب يصعب استخدامها في الدعاية البيضاء مثل:-

- إخفاء المصدر والاتجاه ـ تزييف وثائق ـ تزوير عمله- تخريب.
- صعوبة وضعف تأثير إجراءات المقاومة والدعاية المضادة عليها نظراً لسريتها وعدم الدلالة.
- قدرة عالية على تحطيم ألذات، والقدرة القتالية للهدف المخاطب من خلال سرعة انتشارها وعدم معرفة مصدرها واستخدامها لمعلومات مفبركة مزيفة، نحتاج وقت لإثبات عدم صحتها.

استخدام الدعاية، كأحد الطرق المدعمة لخطة العمليات النفسية، يتم التخطيط لتصميم الحملات تدار بالتوازي على المستويين الإستراتيجي والعملياتي.

إن بعض المؤسسات الإعلامية الغربية، التي تمتلك اتجاها معاديا للإسلام والمسلمين لا تألو جهدا من التعرض لمواقف معادية واستغلال أي توجه مناهض للإسلام، أو أي خبر لا يؤيد المواقف الإسلامية بتأويله وتفخيمه كرأي حر متبع، بغية إقناع القارئ أو المستمع أو المشاهد الغربي بسلامة الرأي والفكرة المعادية المطروحة. فقد أشار مثلا الموقع الإلكتروني swissinfo.ch بتأريخ 22 مارس 2007[14]، تحت عنوان: "اعترافات بانحراف الإعلام الغربي في حديثه عن الإسلام"، بأن الخبراء المشاركون في ملتقى لوغانو بسويسرا عن دور الإعلام والعلاقة بين الغرب والعالمين العربي والإسلامي، توصلوا إلى تأكيد انحراف الإعلام الغربي بتركيزه على إظهار الصور السلبية عن الإسلام.

والورشة التي شارك فيها أخصائيون عرب وغربيون، عددت انحرافات الإعلام الغربي ودعت إلى ضرورة العودة إلى المهنية والموضوعية بعيدا عن الجري وراء تقديم الصور العدائية.



كما حذرت سيلفيا إيغلي فون مات[15]، مديرة المدرسة السويسرية للصحافة MAZ (مقرها لوتسرن)، التي ساهمت في تنظيم الملتقى أثناء مداخلتها في جلسة الافتتاح من أن "موضوع الإسلام والعلاقة مع الغرب ودور وسائل الإعلام، يعتبر من أكثر المواضيع تعقيدا التي تتناولها وسائل الإعلام".وأضافت "نعلم أن الموضوع محفوف بالكثير من الأفكار المسبقة، ولكن علينا أن نتحلى في هذا الموضوع بالذات بضرورة البقاء متفتحين أكثر، لإعادة النظر في طريقة تفكيرنا. ويجب ألا ننسى أخلاقيات المهنة ويجب أن نتجاهل التيارات السائدة لدى الرأي العام ولدى كل الأطراف".

وفي معرض تقييمه لطريقة معالجة الإعلام الغربي للإسلام ولأحداث العالمين، الإسلامي والغربي، أوضح كاي حافظ[16]، الخبير في وسائل الإعلام الألمانية، بأن "وسائل الإعلام الغربية تركّز على قضايا تصف الإسلام، ليس كدين، بل كإيديولوجية سياسية: أصولية وإرهاب واضطهاد المرأة وتخلف اجتماعي كبير".

وذكّر الخبير الألماني بأن "دراسة تم القيام بها في جامعة إيرفورت، عكست في 80٪ مما تناقلته وسال الإعلام، هذه الصورة السلبية عن الإسلام"، وأضاف كاي حافظ، "المشكلة لا تكمن في تغطية الصور السلبية عن الإسلام، بل في تجاهل كل الأوجه الأخرى له"، ثم انتهى إلى القول "عندما تركز وسائل الإعلام على العنف، يجيب الجمهور بكرهه للإسلام أو ما يسمى بالإسلاموفوبيا".

أما الخبيرة الألمانية وصاحبة دراسات عن واقع الإعلام الغربي والعربي، كاتارينا نوتسأولد[17] من جامعة إيرفورت بألمانيا، فترى بدورها أن "مفهوم الجهاد يُستعمل دوما لتحديد العنف، كما أن عدم وجود مرجعية دينية مشابهة لقيادة الكنسية الكاثوليكية، يحُول دون عثور وسائل الإعلام الغربية على متحدثين باسم الاسلام". وأشارت كاتارينا، إلى أن من بين التعقيدات التي ساهمت في هذا الانحراف "نقص المعرفة بالإسلام" الذي "يحُول دون قدرة الصحفي الغربي على التمييز بين التعاليم الإسلامية والتقاليد في المجتمعات الإسلامية" إضافة إلى "التحديدات التي أدخلت على حرية الصحافة فيما سمي بالحرب ضد الإرهاب".

وفي سياق آخر، أشار الإعلامي نيكولاس جونز[18] من هيئة الإذاعة البريطانية، إلى تهاون الصحفيين في القيام بعملهم على أحسن وجه، خصوصا فيما يتعلق بالتأكد

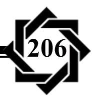
من صحة الخبر، وأورد مثالا لوزير الداخلية الألماني، الذي صرح في إحدى المؤتمرات بأن "ألمانيا في خطر من جراء موجة اعتناق الإسلام"، وهو الخبر الذي تناقلته وسائل الإعلام بعناوين مثيرة، دون التوقف لحظة للإطلاع على الإحصائيات التي اعتمد عليها الوزير في ذلك أو التثبت منها. وأشار إلى أنه "عند الاطلاع على الأرقام، نجد أن تصريحاته لا تجد دعما علميا لها"، متسائلا: "ما الذي منع الصحفيين من القيام بهذه المراجعة، قبل ترديد تلك التصريحات والمزايدة عليها".

ويجدر التنويه إلى أن الورشة التي خصصت لإجراء دراسة مقارنة بين قناة سي إن إن الأمريكية وهيئة الإذاعة البريطانية بي بي سي في تعاملها مع أحداث العالم الخارجي أشارت إلى أنه "حتى الصحفيين الذين أتيحت لهم فرصة العمل في أنظمة ديمقراطية، لم يحسنوا استخدام هذه الحرية، بانسياقهم وراء الجو العام السائد والتوجه المفروض على وسيلة الإعلام والإحساس القومي والثقافة الصحفية المتشبعة بمجارات التوجه السائد للرأي العام"[19].

كثير من المؤسسات الإعلامية تحرص أن يتواجد مراسلوها في مكان الحدث، ليس فقط لاستيفاء الخبر من منبعه ولكن أيضًا للسيطرة على محتواه، وإعادة تحريره وإلقائه والتعليق عليه باللون المطلوب، كحقائق ترمي إلى إفادة المتلقي وتوعيته بما هو مسموح به أن يعرف. مع ملاحظة ما أشار إليه النقاد بأن التطور التكنولوجي في وسائل الاتصال، لاسيما في دول الشمال أوجد ما يسمى بعالمية الثقافة التي تزيد من الانتشار ألمعلوماتي للدول الغنية مالكة التكنولوجيا وصاحبة الحضور الإعلامي في كل بقاع الدنيا. كما أن هذه الدول المممثلة في شركات الإنتاج والنشر والبث تقوم بدور حارس البوابة (Gatekeeper)، وتختار ما تعتقده مناسبًا لها في المواقع وتمرره على الدول المتلقية.

خاتمـــة:

من الطبيعي أن يتم استغلال الإعلام كعنصر هام ورئيسي (أحيانًا) في الصراعات المختلفة للتأثير على الجمهور المتلقي، وكسب تأييده تجاه مشكلة أو قضية أو فكر أو ما شابه ذلك. لذلك فإن المحتوى الإعلامي المصفوف في باطن الموضوع المستهدف، هو الذي يمكن أن يكون الأداة الفاعلة والورقة الرابحة، التي يستطيع الإعلام أن



يلعبها، في التركيز على المضامين بالطرق والأساليب التي تكفل الوصول إلى الأهداف المبتغاة بأقصر الطرق المقنعة.

ولأن التأثير على الرأي العام يقف على رأس الاهتمامات الإعلامية، فإن الوقوف أمام الإساءات التي تستهدف الدين الإسلامي ورموزه وتشويه صورته، بإدعاءات باطلة في وسائل الإعلام الغربية، ولأهداف سياسية تنم أحيانا عن جهل بسماحة الإسلام، وباستغلال حرية التعبير في استحداث صور قاتمة لطبيعة الإسلام وسلوكيات المسلمين، والتحذير منها وتسخير الأحداث القائمة في المنطقة، للتدليل على مصادر الإرهاب بين المسلمين أنفسهم وبين المسلمين والآخرين.

- إن الاساءة لصورة الاسلام وهزها أمام الرأي العام الغربي والعالمي، ما هي إلا وسيلة لشيطنة ما ينظرله على انه "الآخر" أو"العدو المفترض" للعالم الغربي وقيمه "التنويرية" واسلوب حياته، ومصالحه الاقتصادية والسياسية والاستراتيجية.

- إن الحملة الاعلامية المستعرة، التي يشنها الاعلام الغربي على الاسلام والمسلمين، ما هي إلا جزء من خطة الحرب النفسية التي يخوضها الغرب على هذا العدو المفترض لإضعافه وتحطيمه حتى يسهل اختراقه وهزيمته بدون الحاجة إلى قوات حرب عسكرية.

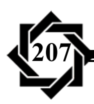
- تندرج حملات الاساة للاسلام والمسلمين ضمن سلسلة من حملات بث الكراهية عند الرأي العام الغربي لكل ماهو اسلامي، وذلك ضمن تفكيرعنصري يرى بان انتشار الاسلام في اوربا والغرب، يشكل تهديدا لقيم اوربا المسيحية اليهودية. خاصة ان المجتمعات الغربية اصبحت خليطا سيكون فيه الغلبة للاعراق القادمة من العالم الاسلامي، اضافة للاقبال الكبير لاعتناق الاسلام من الاوروبيين والامريكيين.

الهوامش والمراجع:

(1)- فريد هاليداي، الاسلام والغرب: خرافة المواجهة، ترجمة: محمد مستجير، القاهرة: مكتبة مدبولي، ط1، 1997ص195

(2)- بيار كونيسا، صنع العدو: كيف تقتل بضمير مرتاح، ترجمة: نبيل عجان، الدوحة: مركز العربي للابحاث ودراسة السياسات، ط1، 2015، ص78.

(3)- نفس المرج السابق، ص101.



(4)- ياسين بودهان، تشكيل الصور النمطية عن الاسلام والمسلمين في الاعلام الغربي، مجلة الوسيط للدراسات الاعلامية، العدد 12، (2006)

(5)- نفس المرجع السابق

(6)- اكرام بدر الدين، العولمة وصراع الحضارات: التأثر الحضاري ومنطق القوة، مجلة النهضة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، 2009، ص26.

(7)- محمد السماك، موقع الاسلام في صراع الحضارات والنظام العالمي الجديد، منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الرباط، 2002، ص11.

(8)- فريد هاليداي، مرجع سابق، ص201.

(9)- ابراهيم ابو خزام، الحروب النفسية وتوازن القوى، ليبيا: الكتاب الجديد، ط2، 2009، ص136

(10)- مهند العزاوي، محاضرة في الإعلام المضاد: الحرب النفسية والدعاية السوداء مركز صقر للدراسات إستراتيجية ، منشورة على الموقع:
http: //www.almahdara.com/ar/vb7/showthread.php?p=3761

(11)- نفس المرجع السابق

(12)- افلين هايدي توفلر، اشكال الصراعات المقبلة: المعلوماتية وما قبلها، ترجمة: صلاح عبد الله، بيروت: دار الازمنة الحديثة، 1998، ص304.

(13)- جيهان أحمد رشتي، الأسس العلمية لنظريات الإعلام، دار الفكر العربي (ب، م، ن).ص72.

(14)- محمد السماك، مرجع سابق، ص 26.

(15)- نفس المرجع السابق، ص28.

(16)- بودهان، مرجع سابق.

(17)- محمد السماك، مرجع سابق، ص31.

(18)- مهند الغزاوي، مرجع سابق

(19)- ابراهيم أبو خزام، مرجع سابق، ص152.

EISSN: 2588-2368 ______ ISSN: 2352-975X